Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا تَبْخَلاَ بُخْلَ ابنِ قَزْعَةَ إنَّه ... مَخَافَةَ أنْ يُرْجَى نَدَاه حَزِينُ
إذا جِئْتَهُ فى حاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ ... فَلا تَلْقَهُ إلاَّ وأنْتَ كَمِينُ
إذَا سَلَّم المسكينُ طار فؤادهُ ... مخافَةَ سُؤْلٍ واعتراه جُنُونُ
كأنَّ عُبَيْدَ الله لم يَلْقَ ماجِداً ... ولم يَدْرِ أنَّ المكْرُمَاتِ تكُونُ
فقُلْ لأَبى يَحْيَى مَتى تُدْرِكُ العُلى ... وفى كلِّ معروفٍ عليك يَمِينُ(١٠٨)

فالهجاء بالبخل من الصور المعروفة فى الشعر ، ولكن الجديد هنا ، تلك الصورة الساخرة التى تجعل بشاراً يرى الرجل يحزن ، لأنه يتوهم أن أحداً سوف يطلب منه النوال ، وأنه حين يسلم على واحد من الناس يضطرب ويعتريه ما يشبه الجنون مخافة أن يسأل شيئاً ، وكأن هذا الرجل لم ير فى حياته إنساناً كريماً أو أن المكرمات تكون بين الناس .

ومن هذا النمط قوله يهجو العباس بن محمد العباسى :

ظِلُّ اليَسَارِ على العَبَّاسِ مَمْدُودُ ... وقَلْبُهُ أَبَداً فى البُخْلِ مَعْقُودُ
إنَّ الكَريمَ لتَخْفَى عَنْكَ عُسْرَتُهُ ... حَتَّى تَرَاهُ غَنِيّاً وهْوَ مَجْهُودُ
وللبَخِيلِ على أمْوَالِهِ عِلَلٌ ... زُرْقُ العُيُونِ عليها أوْجُهٌ سُودُ
إذَا تَكَرَّهْتَ أنْ تُعْطِى القليلَ ، ولَمْ ... تَقْدِرْ على سَعَةٍ لم يَظْهَرْ الجُودُ
أوْرِقْ بِخَيرٍ تُرْجَى للنَّوَال فَمَا ... يُرْجَى الثِّمَارُ إذَا لم يُورِقْ العُودُ
بُثَّ النَّوَالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ ... فكُلُّ ما سَدَّ فَقْراً فَهْوَ مَحْمُودُ(١٠٩)

وسلب صفة الجود من المعانى التى طرقها الشعراء من قبل ، ولكن الشاعر يتلطف فى هذا المعنى ، ويصور ما يتغلل به العباس فى صورة بشعة تمقتها النفس ، كما نجده يجعل البخل صفة ملازمة له ، وسجية من سجاياه ، بحيث أصبح لا يرجى منه خير ، ولا يؤمل من ورائه معروف ، ولقد كان هذا الهجاء مؤلما لقوم اعتدوا بالكرم وتوارثوا الافتخار به ، ولم يقلل من تأثيره أنه يخلو من السباب والإسفاف .

---

(١٠٨) ديوان بشار بن برد ٤ : ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
(١٠٩) المصدر نفسه ٣ : ١٢١ ، ١٢٢ .